دور تفسير الصحابي في كتاب مجمع البيان للطبرسي (قراءة في الأدوار)

أ.م.د. آمال خلف علي انتصار نوري يوسف

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

amal.alhaider٢٠١٧@gmail.com,

الملخص :

يحاول البحث تسليط الضوء على الدور الذي تؤديه الرواية التفسيرية الواردة عن الصحابة في واحد من أهم كتب التفسير لدى الشيعة الإمامية، وهو كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن) لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، وهو من التفاسير التي حظيت بالقبول لدى العامة، نظرا. لما تضمنه من المأثور من تفاسير الصحابة على اعتبار معايشتهم للنبي(ﷺ)، وملامستهم لبيانه. وهو دليل على إن الشيعة تعاملوا مع ما ورد من روايات تفسيرية بناءاً على توافقها مع المعاني القرآنية، وليس على أساس رواتها

الكلمات المفتاحية: (التفسير، الصحابي).

THE ROLE OF THE COMPANION'S INTERPRETATION IN THE BOOK MAJMA' AL-BAYAN BY AL-TABARSI (READING IN ROLES)

DR . AMAL KHALAF ALI INTISAR NURI YOUSSEF

IMAM AL-KADHIM (PEACE BE UPON HIM) COLLEGE OF ISLAMIC SCIENCES UNIVERSITY

AMAL.ALHAIDER٢٠١٧@GMAILCO.M

ABSTRACTS:

THE RESEARCH ATTEMPTS TO SHED LIGHT ON THE ROLE PLAYED BY THE EXEGETICAL NARRATION FROM THE COMPANIONS IN ONE OF THE MOST IMPORTANT BOOKS OF INTERPRETATION AMONG THE IMAMI SHIITES, WHICH IS THE BOOK (MAJMA' AL-BAYAN FI TAFSIR AL-QUR'AN) BY ABU ALI AL-FADL IBN AL-HASAN AL-TABARSI (D. WITH GENERAL ACCEPTANCE, GIVEN. FOR WHAT IT INCLUDES FROM THE INTERPRETATIONS OF THE COMPANIONS,

CONSIDERING THEIR COEXISTENCE WITH THE PROPHET (PEACE BE UPON HIM), AND THEIR CONTACT WITH HIS STATEMENT. IT IS EVIDENCE THAT THE SHIITES DEALT WITH THE EXEGETICAL NARRATIONS THAT WERE MENTIONED BASED ON THEIR COMPATIBILITY WITH THE MEANINGS OF THE QUR'AN, AND NOT ON THE BASIS OF THEIR NARRATORS.

KEYWORDS: (INTERPRETATION, COMPANION).

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل إلينا القرآن، وجعله نوار لنا على مر الأزمان، والصلاة والسلام على أشرف من فيً الأكوان، محمد وآل بيته عدل الكتاب وترجمان الفرقان.

وبعد:

فإن تفسير الصحابي للقرآن الكريمُ يعد اللبنة الأولى التي اتكأ عليها علم التفسيرالقرآني بعد وفاة الرسول (ﷺ)، والتي تُعد صحبته (ﷺ) هي ما اعطت شرعية الحضور لهذا التفسير، فضلاً عن المعاصرة لنزول القرآن الكريم.

كما إن دارسة التفاسير التراثية يعد من مظاهر التجديد في علم التفسير،على الخصوص تلك التي أبدع مؤلفوها في ترتيبها وإتقانها وبذلوا فيها مزيد جهد ووقت لجعلها في موقع التميز والقبول.

ولأن هناك اتصالاً وثيقاً بين القرآن وما ورد في تفسيره، فقد زخرت تفاسير الشيعة في مختلف الحقب التاريخية بمرويات التفسير التي كان لها دور مهم في بيان معاني القرآن والكشف عن دلالاته،

ًٌمنها ما ورد من تفسير عن الصحابة. ومن هذه التفاسير: مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي الذيُ يعدمن التفاسير التراثية المهمة، حيث ضمنه مؤلفه ثروة تفسيرية متنوعة، كان لتفسير الصحابي حيز واسع منها. ًٌ

ولأنه مثل ميداناً رحباً لدارسة تفسير الصحابة في كتب الشيعة وقع اختيارنا عليه ليكون دور تفسير الصحابي فيه محور لاعداد هذا البحث الموسوم :) دور تفسير الصحابي في كتاب مجمع البيانً للطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ).

وتكمن أهداف الدارسة وأهميتها في التالي:

١- مساحة اشتغالها، وهو القرآن الكريم وتفسيره الذيُ يعد أشرف العلوم وأهمها. إذ تهدف إلى الوقوف على جزء مهم من جنبات تفسير القرآن الكريم.

٢- كما تأخذ أهميتها من كونها تدرس تفسير الصحابة الذي احتل مكانة مقدسة في الذهنية الاسلامية، وكونها تدرس ذلك في كتاب من أهم كتب التفسير لدى المسلمين عامة، فهي تهدف إلى تسليط الضوء على الادوار التي اداها تفسير الصحابي في هذا الكتاب.

٣- عدم وجود دارسة اكاديمية تُعنى بتفسير الصحابي في كتاب مجمع البيان بشكل خاص،وقلة دارسته في كتب الشيعة بشكل عام، وامعان النظر في الواقع الوجودي لهذا التفسير في كتب الشيعة، وهدف الدارسة البحث عن هذا الوجود وبيانه.

ويمكن تحديد مشكلة الدارسة في كونها تُجيب عن التالي:

- هل انعكس انتماء الطبرسي المذهبي على إيراده لتفسير الصحابي في كتابه؟

٢- من هو الصحابي المفسر ؟

٣- هل اشتملت كتب الشيعة على مرويات الصحابة ؟

٤- ما مدى مطابقة نص الطبرسي لنصوص المرويات التفسيرية الواردة عن الصحابة التي نقل معناها

٥- ما مدى صحة سند الروايات التفسيرية للصحابة ؟ - هل هناك دور لتفسير الصحابي في تفسير الطبرسي، وما هو هذا الدور ؟

المبحث الأول: تفسير الصحابة (مفهومه وحجيته)

المطلب الأول: التفسير، والصحابي في المدلول اللغوي والمعنى الاصطلاحي

أولاً: التفسير في مدلوله اللغوي:

اشتمل القرآن بما حواه من سور على منظومة قيمية هدفها بناء الانسان، وحتى يحقق هدفه كان لابد من أن تصل انظمته للناس كافة، وبما ان عقول البشر متفاوته في الفهم كان لابد له من مبين يوصل ما اراده الله منه عن طريق تفسيره .

والتفسير في اللغة يدور حول معاني الكشف والبيان كما عبرت عن ذلك معاجم اللغة:

جاء في معجم العين: "التفسير هو بيان وتفصيل للكِتاب، وفَسَره يفسِره فسراً، وفسره تفسيراً "(١) .

وقال ابن فارس (ت: ٣١١ هـ): "(فَسِرَ) الْفَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضَاحِهِ. مِنْ ذَلِكَ الْفَسْرُ، يُقَالُ: فَسَرْتُ الشَّيْءَ وَفَسَّرْتُهُ. وَالْفَسْرُ وَالتَّفْسِرَةُ: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ وَحُكْمُهُ فِيهِ"(٢).

وهذه الاقوال تجعل التفسير مأخوذاً من الفسر أو التفسرة وتعطي له معان متقاربة وهي: التبيين وإزالة اللبس او الخفاء عما اشكل مراده، ويمكن القول إنه يعني النظر في الشي أو استنطاقه؛للاستدلال على معناه وتبيينه وإيضاحه. ويبدو لي ان التفسرة هي ما يقوم به المفسر من بحث للاستدلال على المعاني وإيضاحها، والفسر هو ما اشتق منه التفسير.

ثانياً: التفسير في معناه الاصطلاحي

للعلماء أقوال متعددة في تعريفهم للتفسير بمعناه الاصطلاحي، فمنهم من عرفه كعلم مستقل لا يبعد كثيراً عن معناه اللغوي، ومنهم من عرفه متداخلاً مع علوم القرآن الاخرى، نذكر منهم على سبيل الايجاز:

الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) حيث يقول: "التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل...والتفسير البيان"(٣).

وقال ابن جزي (ت: ٧٤١ هـ): "ومعنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والافصاح بما يقتضيه بنصه أو اشارته أو فحواه"(٢).

وعبر الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) عن معنى التفسير بقوله:» التفسير: هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها« (٤).

وذهب الزرقاني(ت:١٣٦٧هـ) إلى القول بانه: "علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية " (٥). ويبدو لنا أن تعريف الطبرسي، وتعريف الطباطبائي هو الانسب للتفسير كمصطلح ، وهذا لا يعني قصور باقي التعريفات، فكلٌ يكشف عن التفسير في معنى من معانيه، وكلها تتقارب في إن التفسير هو البيان. وعليه فالمدلول اللغوي يتفق مع

ثالثاً: الصحابة في اللغة

جاء في كتاب العين: "الصَّاحِبُ: الملازم...ولا يقال في العرف إلّا لمن كثرت ملازمته، ويقال للمالك للشيء: هو صاحبه، وكذلك لمن يملك التّصرّف فيه...والْإِصحَابُ للشيء: الانقياد له. وأصله أن يصير له صاحبا" (١) .

وفي المقاييس: "الصَّادُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ وَمُقَارَبَتِهِ. مِنْ ذَلِكَ الصَّاحِبُ،...وَكُلُّ شَيْءٍ لَاءَمَ شَيْئًا فَقَدِ اسْتَصْحَبَهُ. وَيُقَالُ لِلْأَدِيمِ إِذَا تُرِكَ عَلَيْهِ شَعَرُهُ: مُصْحَبٌ. وَيُقَالُ: أَصْحَبَ الْمَاءُ، إِذَا عَلَاهُ الطُّحْلَبُ" (٢).

وعليه فإن الدلالة اللغوية للصحابي هي: المقاربة والملازمة والملاصقة و المعاشرة، التي تؤدي إلى المنعة والحفاظ على الصاحب، فالصحابي لغة: هو الملازم والمعاشر المانع الحافظ لصاحبه.

وقد اشترط الفراهيدي)ت: ١٧٠ هـ(في تعريفه كثرة الملازمة حتى يقال لصاحبها في العرف صحابياً، كما بين ان مالك الشي هو صاحبه في إشارة منه إلى كثرة الملازمة للشي حتى كأنه ملكه.

وخالفه في ذلك ابن حجر حيث ذهب إلى إن الصّحابيّ لغة: مشتقّ من الصّحبة، وليس من قدر خاصّ منها، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً أو كثيراً، ويرى ان حكم اللغة يحكم اجراءها على من صحب النبي)ﷺ(ساعة من نهار)٣(.

ويبدو لنا أن المدلول اللغوي يدل على الكثرة، فالملازمة والمعاشرة لا تطلق على القليل.

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في عدة آيات، نحو قوله تعالى:{ما ضَلَّ صاحِبُكُم وما غَوى}{٤). فقد عبرت الآية عنه)ﷺ(بصاحبهم؛ لأنهم عاشروه وكانوا شديدي الاطلاع على احواله)٥(.

رابعاً: الصحابة اصطلاحاً

اختلف العلماء في تحديد التعريف الاصطلاحي للصحابي، وقد أشار الزركشي)ت: ٧٩٤ هـ(إلى هذا الاختلاف بقوله":اختلفوا فيه فذهب الأكثرون إلى أنّه من اجتمع – مومناً – بمحمد)ﷺ(، وصَحِبَهُ ولو ساعة، روى عنه أو لا، لأنّ اللّغة تقتضي ذلك، وإن كان العُرف يقتضي طول الصُحبة وكثرتها، وقيل: يشترط الرواية، وطول الصُحبة، وقيل: يشترط أحدهما«.)"٦(.

وقد عرفه الجرجاني)ت: ٨١٦هـ(بقوله: "الصحابي: هو في العُرْفِ من رأى النبي)ﷺ(وطالت صحبته معه، وإن لم يرو عنه)ﷺ(. وقيل: وإن لم تَطُلْ)١) .

وقال ابن حجر)ت: ٨٥٢ هـ:("من لقي النبيّ)ﷺ(في حياته مسلماً ومات على إسلامه)"٢). وذهب إلى إن هذا هو اصح الاقوال عنده. وهو ما ذهب إليه الشهيد الثاني)ت:

٩٦٥ هـ(في تعريفه للصحابي حيث يقول: "الصحابي هو من لقي النبي- ﷺ – مؤمنا به، ومات على الاسلام، وإن تخللت ردته على الاظهر)"٣). ويتضح مما سبق ان العلماء اتفقوا على ان الصحابي هو من صحب النبي)ﷺ(، وعبروا عنه بانه من اجتمع أو رأى أو جالس أو لقي أو روى عن النبي (ﷺ)، وان اختلافهم كأن في مدة وكيفية هذه الصحبة، واكثر الاقوال ترجح تعريف ابن حجر. فهو يشترط اللقاء والاسلام .ونحن نرجح تعريف الشهيد الثاني؛ لأن الايمان اعم من الاسلام، فضلاً عن اثباته العدالة لصاحب النبي)ﷺ(ويبدو لنا ان كثرة الملازمة ضرورة حتى يصح اطلاقها على الصحابي.

وبعد عرض التعريفات الواردة للتفسير، وللصحابي، نستنتج إن تفسير الصحابي يعني: الأقوال المبينة للقرآن الكريم الصادرة عن ذلك الشخص المسلم المؤمن بالنبي الاكرم)ﷺ(والمعاشر له.

المطلب الثاني: حجية تفسير الصحابة

أولاً: حجية تفسير الصحابة لدى العامة

اختلفت آراء العلماء في مدى صلاحية أقوال الصحابي التفسيرية لأن تكون حُجّةً ودليلاً يُعتمد عليه في التفسير، فذهب البعض إلى القول بحجيته، ومنهم من خصص الحجية ببعض الجوانب .

ونبتدأ بما ذكره الحاكم)ت: ٤٠٥ هـ(في ذلك حيث قَالَ: »لِيَعْلَمَ طَالِبُ هَذَا الْعِلْمِ أَنَّ تَفْسِيرَ الصَّحَابِيِّ الَّذِي شَهِدَ الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ حَدِيثٌ مُسْنَدٌ "٤). ثم صَرَّحَ فِي كتابه عُلُومِ الْحَدِيثِ بان تَفْسِيرُ الصَّحَابَةِ من الْمَوْقُوفَاتِ، وان المُسْنَدُ منه ماكان فِيهِ سَبَبُ النُّزُولِ)٥).

واضاف الزركشي)ت: ٧٩٤ هـ(إلى ذلك التفسير باللغة حيث يقول: "يَنْظُرُ فِي تَفْسِيرِ الصَّحَابِيِّ فَإِنْ فَسَّرَهُ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةِ فَهُمْ أَهْلُ اللِّسَانِ فَلَا شَكَّ فِي اعْتِمَادِهِمْ وَإِنْ فَسَّرَهُ بِمَا شَاهَدَهُ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْقَرَائِنِ فَلَا شَكَّ فِيهِ وَحِينَئِذٍ إِنْ تَعَارَضَتْ أَقْوَالُ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَإِنْ أَمْكَنَ الْجَمْعُ فَذَاكَ وَإِنْ تَعَذَّرَ قُدِّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِأَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) بَشَّرَهُ بِذَلِكَ"...)٦).

وقد بين الزرقاني)ت: ١٣٦٧هـ(سبب قبول ما خصصه العلماء من أقوال الصحابة بقوله : "قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه حكمه حكم المرفوع إلى النبي ﷺ لأنه يبعد كل البعد أن يكون الصحابي قد قال ذلك من تلقاء نفسه على حين أنه خبر لا مرد له إلا السماع والنقل أو المشاهدة والرؤية ")٧).

وقد لخص الذهبي أقوال العلماء وآراءهم في حجية تفسير الصحابة بالتالي:

أولاً: تفسير الصحابة له حكم المرفوع، إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول، وكل ما ليس للرأى فيه مجال، أما ما يكون للرأى فيه مجال، فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ.

ثانياً: ما حُكِمَ عليه بأنه من قبيل المرفوع لا يجوز رده اتفاقاً، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال.

ثالثاً: ما حُكِمَ عليه بالوقف، تختلف فيه أنظار العلماء،بين وجوب الأخذ به وعدمه)١) .

وقد بَيّن د. مساعد الطيار إن الإطلاق في إن تفسير الصحابة له حكم المرفوع غير مقبول وقسمه إلى اقسام مبيناً حكمها بالنحو الآتي بيانه:

١-ما له حكم الرفع، و يشمل أسباب النزول، والإخبار عن المغيَّبات-على أن لا يكون الخبر من الاسرائيليات-، وحكمه: القَبول، إذا صح الخبر فيه، لأنه لا مجال للاجتهاد فيه، وألحق به ما أجمع عليه الصحابة؛ لأن الإجماع حجة، فيكون بقوة المرفوع.

٢-ما رجعوا فيه إلى لغتهم، وحكمه القبول؛ لأنهم أهل اللغة وأعلم بلغتهم من غيرهم.

٣-ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وله حكم الإسرائيليات.

٤-ما اجتهدوا فيه،وفصله على النحو الاتي:

أ. أن يتوافق اجتهادهم؛ فيكون حجة .

ب . أن يختلف اجتهادهم؛ فيرجح بين أقوالهم بأحد المرجِّحات.

جـ –أن لا يرد إلا عن أحدهم، ولا يعلم له مخالف؛ فهذا الأخذ به أولى، خاصة إذا حفَّت به قرائن القَبول؛ كأن يكون قولَ مشهور منهم بالتفسير؛، أو قَبِلَهُ من جاء بعدهم أو غيرها من القرائن)٢).

ويتضح مما سبق إن حجية تفسير الصحابي عند علماء العامة على النحو التالي:

١– التفسير الذي ليس للرأى فيه مجال: وهو ما كان نقلاً عن النبي)ﷺ(، وما كان تفسيراً بأسباب النزول، أو تفسيراً باللغة، ويكون مجمعاً عليه، فهذا يؤخذ به وله حجية .

٢–التفسير بالاجتهاد، وهو ما للرأي فيه مجال، وقد أُختلف في حجيته ين اثباتها له وعدم ذلك.

والمتتبع لمرويات الصحابة التفسيرية يجد آن فيها اختلافاً حتى في الموارد التي قيل بحجيتها.

وقد أشار الذهبي إلى تفاوت الصحابة في فهم القرآن، وأرجع ذلك إلى تفاوتهم فى القوة العقلية، وتفاوتهم فى معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وعدم تساويهم فى معرفة المعانى التى وُضعت لها المفردات)٣).

ثانياً: حجية تفسير الصحابة لدى الشيعة الامامية

أشار الشهيد الصدر إلى ما أشار إليه الذهبي من عدم توفر الفهم التفصيلي للقرآن في معاصري الوحي، وبين ان فهمهم له كان إجمالياً، وساق مجموعة من الاحاديث التي تدل على ذلك، منها ما روي عن ابن عباس أنه قال: "كنتُ لا أدري ما {فاطر السموات والأرض}، حتى أتاني أعرابيان يَختصِمان في بئر، فقال أحدُهما: أنا فطرتُها. يقول: أنا ابتدأتُها")٤)، وأرجع ذلك إلى عدم الاطلاع

على المدلول اللغوي للالفاظ، وعدم الارتفاع الفكري إلى مستوى اغراض القرآن، فضلاً عن النظرة التجزيئية له،وعدم التمكن من تحديد مصداق الآيات)١) .

وهنا يأتي دور الرسول)ﷺ(المبين للقرآن، حيث يرى اصحاب مدرسة أهل البيت إنه قام بدوره التفسيري على مستويين، عام: في حدود الحاجة، وخاص يتمثل في إعداد ثلة خاصة للقيام

بمهمة التفسير، وهم أهل البيت، ومنهم ممن يعدون من الصحابة: علي وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام)، فضلاً عن إعداد النبي)ﷺ(وعلي بن أبي طالب من بعده لابن عباس وابن مسعود وغيرهم ليكونوا مرجعاً في تفسير القرآن الكريم. وقد وردت احاديث كثيرة تشير إلى دور أهل البيت بشكل عام في التفسير، ودور الامام علي بشكل خاص، منها حديث الثقلين المتواتر وحديث الامان وحديث السفينة وغيرها. ومما ورد في علي خاصة قوله)ﷺ(له": انت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي)"٢).

قال العلامة الطباطبائي . عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾)٣). في الاية دلالة على حجية قول النبى)ﷺ(في بيان الآيات القرآنية، ويلحق به بيان اهل بيته، لحديث الثقلين المتواتر وغيره واما سائر الامة من الصحابة او التابعين او العلماء، فلا حجية لبيانهم، لعدم شمول الاية وعدم وجود نص معتمد عليه، يعطي حجية بيانهم على الاطلاق)"٤).

ويرى جعفر السبحاني إن الصحابي إذا روى السنة النبوية وحازت تلك الرواية على كل شرائط الحجية تلقاها الجميع بالقبول ولزم العمل وفقها. وهكذا إذا فسر لغة من لغات القرآن ولفظاً من ألفاظه، أو روى شيئا من الحوادث والوقائع المرتبطة بعصر الرسالة، أو غيرها، قبلت روايته إذا توفرت فيها الشروط المذكورة وبين إن رأي الصحابي لا يكون حجة، ويرى انه يجب التفريق في العمل بين رأي الصحابي، وبين ما ينقله عن النبي)ﷺ((٥).

ولا يبتعد رأيه عن رأي علماء العامة، وعليه يكون ما ورد من تفسير عن الصحابة منه ما يكون حجة، ومنه ما ليس كذلك.

المبحث الثاني: الطبرسي وكتابه (مجمع البيان) في دائرة التعريف

المطلب الأول: إطلالة على حياة الطبرسي

اسمه

هو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الرضوي أو المشهدي ويكنى بأبي علي)٦) ونسبته إلى طبرستان، والرضوي والمشهدي نسبة إلى مشهد الرضا لأنه سكن فيه (٧) .

١- تاريخ ولادته

ذكرت بعض كتب التراجم إن تاريخ ولادته كان سنة (٤٧٠ هـ) (١)، وذكر آخرون إنها كانت بحدود (٤٧٠ أو ٤٧٢ هـ)، وذكروا إنه عاش (٩٠) عاماً (٢).

وذهب جعفر السبحاني إلى إن ولادته كانت بحدود (٤٦٧ هـ)(٣)، وذهب بعضهم إلى إنه ولد بحدود (٤٦٢ هـ)(٤). واستناداً إلى ما صرح به الطبرسي في مقدمة كتابه- الذي نحن بصدد دراسته – من أنه شرع في تأليفه وعمره ذارف (٥) على الستين (٦) أي: زائد على الستين، كما إنه حدد فراغه من الجزء الأول من الكتاب سنة (٥٣٠ هـ) (٧) وهذا يعني إنه بدأ بتأليف كتابه قبل هذه السنة.

وعليه فإنه عام (٥٣٠ هـ) كان بحدود (٦٢) أو (٦٣) عاماً، إذا فرضنا أنه استغرق عاماً في كتابة الجزء الأول من الكتاب، وهذا يستبعد الرأي القائل ان ولادته كانت (٤٦٢ هـ)أو (٤٧٠ هـ) أو(٤٧٢ هـ). ويبدو لنا إن ولادته كانت بحدود (٤٦٧ هـ) أو (٤٦٨ هـ) .

٤- وفاته ومدفنه

ذكر الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ) إن الطبرسي انتقل من المشهد الرضوي إلى سبزوار سنة ٥٢٣ هـ، وانتقل بها إلى دار الخلود سنة ٥٤٨ هـ(٨) . وهو ما نقله عباس القمي في الكنى والالقاب (٩). قال البيهقي (ت: ٥٦٥ هـ)) عنه: "توفي بقصبة السّبزوار ليلة الأضحى العاشر

من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمس مئة، ونقل تابوته إلى المشهد الرضوي، على ساكنه التحية والسلام (١٠) .

المطلب الثاني: نظرات استقرائية في كتاب (مجمع البيان).

عنوان الكتاب وقيمته العلمية

يمثل عنوان الكتاب بوابة لمعرفة ما فيه، ويعطي ملمحاً عن مضمونه ومعانيه. وقد عنون الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) كتابه مدار البحث ب):مجمع البيان لعلوم القرآن)، مما يدلنا على إن القرآن الكريم يمثل مساحة اشتغال هذا الكتاب. وقد وسمه البعض ب: (مجمع البيان في تفسير القرآن) (١١) .

والحق انه كتاب جامع لعلوم القرآن وليس لتفسيره فقط، فقد غاص مؤلفه في فنون اللغة، والنحو، والاعراب، والقراءات، والتفسير، واختار منها ما وجده مناسبا ليوظفه في بيان عظمة القرآن، والكشف عن احكامه ومعانيه، حتى صار تحفة ادبية تنبه لها القريب والبعيد. قال عنه الطهراني: "هو تفسير لم يعمل مثله..."(١٢) .

وقال محمود شلتوت*في مقدمة طبعة القاهرة لهذا التفسير: "إنّ تفسير مجمع البيان بما فيه من مزايا يفضل على جميع تفاسير القرآن المؤلفة من قبل علماء الإسلام على اختلاف مسالكهم ومذاهبهم طوال مئات السنين"(١) وقال عنه الذهبي":والحق أن تفسير الطبرسى – بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية وآراء اعتزالية – كتاب عظيم فى بابه، يدل على تبحر صاحبه فى فنون مختلفة من العلم والمعرفة. والكتاب يجرى على الطريقة التى أوضحها لنا صاحبه، فى تناسق تام وترتيب جميل " (٢) .

ومن النزعات التشيعية التي أشار إليها الذهبي تفسير الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) لقوله تعالى: {إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}(٣). حيث نقل عن ابن عباس أنه قال" :لما نزلت الآية قال رسول

الله (ﷺ): "أنا المنذر وعلي الهادى من بعدى، يا عليّ، بك يهتدى المهتدون"(٤) (٥) . حيث يرى الذهبي إن هذه القصص والأحاديث وامثالها مما يسوقه الطبرسي للتنصر لمذهبه،(٦)) وقد وردت هذه الرواية في كتب الحديث المعتبرة. حيث أخرج الحاكم(ت: ٤٠٥ هـ) حديثاً مشابهاً له في المعنى قال:" أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور الحارثي، ثنا حسين بن حسن الأشقر، ثنا منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي، عن علي * (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد * (قال علي: رسول الله (ﷺ)المنذر، وأنا الهادي.". وقال عنه:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه "(٣) .كما أخرج ابن عساكر نحو ذلك، حيث قال: "أخبرنا أبو العز بن كادش، أنبأنا أبو الطيب طاهر بن عبد الله، أنبأنا علي بن عمر بن محمد الحربي، أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار، أنبأنا عثمان بن أبي شيبة، أنبأنا المطلب بن زياد، عن السدي، عن عبد خير، عن علي، قول الله عز وجل: * (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد * (قال: رسول(ﷺ) المنذر، وأنا الهادي" (٤). فهل نرد هذه الروايات أيضاً، وقد وردت بطرق مختلفة؟

هذا ما يخص متن الحديث، أما ما يخص إسناده فقد أخرج الطبري الرواية عن ابن عباس على النحو الآتي: حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، قال: ثنا الحسن بن الحسين الأنصاري، قال: ثنا معاذ بن مسلم، ثنا الهروي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس... وذكر نص الرواية،

وقد وصف الالباني: هذا الاسناد بالمظلم بعد أن عد الحديث في الموضوعات قال عن إسناده: "وهذا إسناد مظلم؛ وله ثلاث علل: الأولى: أختلاط عطاء بن السائب، والثانية: معاذ بن مسلم، قال الذهبي

في ترجمته: مجهول، روى عن شرحبيل بن السمط، مجهول، وله عن عطاء بن السائب خبر باطل (*) الثالثة: الحسن بن الحسين الانصاري- وهو العرني- وهو متهم ..."(١). في حين وصف ابن حجر(ت: ٨٥٢ هـ) هذا الإسناد نفسه (بالحسن) قال في ذلك ":وَالْمُسْتَغْرَبُ مَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ بن عَبَّاس...وذكر الرواية "(٢).

واما ما يخص رواة المروية، فقد قال ابن ابي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) عن أحمد بن يحيى الصوفي: "روى عن محمد بن بشر ومحمد بن عبيد وزيد بن الحباب وإسحاق بن منصور السلولي سمعت أبي يقول كتبت عنه ...قال وسئل أبي عنه فقال: ثقة، روى عن عثمان بن سعيد الزيات روى عنه أبو عوانة الكوفي"(٣) . وقال عن الحسن بن الحسين الانصاري:"حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي عنه فقال: لم يكن بصدوق عندهم كان من رؤساء الشيعة "(٤). وقال عنه ابن عدي: " روى أحاديث مناكير، ولا يشبه حديثه حديث الثقات"(٥)، وعدّ الذهبي هذه الرواية التي ذكرناها آنفاً من المناكير التي يرويها الحسن بن الحسين الأنصاري (٦) . وقال محسن الأمين:" الذهبي نصبه غير منكور فلعل الآفة منه في جعله هذه الأحاديث منكرة ولا نكارة فيها وقد أخرجها أجلاء العلماء والمحدثين كالطبري والدارقطني إنما اشتمل بعضها على فضائل لعلي لا يستطيع سمع الذهبي ان يسمعها فلا غرو إن كانت منكرة عنده (٧). أما معاذ بن مسلم، فقال الذهبي عنه: " مجهول ". ونقل ذلك عن شرحبيل بن سمط (٨)، وقال بعد أن ساق الرواية آنفة الذكر :" رواه ابن جرير في تفسيره، عن أحمد بن يحيى، عن الحسن.عن معاذ. ومعاذ نكرة، فلعل الآفة منه "(٩) .

وجاء في شذرات الذهب: معاذ بن مسلم الكوفي النحوي شيخ الكسائي، عن نحو مائة سنة، وهو الذي سارت فيه هذه الكلمة: إن معاذ بن مسلم رجل ... ليس لميقات علمه أمد، قال في »المغني«: " معاذ بن مسلم عن شرحبيل بن السمط، مجهول(*) " (١٠). ونلاحظ إنهم ينقلون وصفه عن شرحبيل بن السمط.

وللتعرف على شرحبيل هذا ننقل ما قاله عنه ابن الأثير (ت:٣٦٠ هـ): " أدرك النبي (ﷺ) وكان يكنى أبا يزيد، وكان أميراً على حمص لمعاوية، وكان له أثر عظيم في مخالفة علي وقتاله، وسبب ذلك أن علياً أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية، فاحتسبه أشهراً، فقيل لمعاوية: "إن شرحبيل عدو لجرير

لتحضره ليناظر جريراً"، فاستدعاه معاوية، ووضع في طريقه من يشهد أن علياً قتل عثمان...، فلقي جريراً، وناظره أن علياً قتل عثمان، ثم خرج في مدائن الشام يخبر بذلك، ويندب إلى الطلب بثأر عثمان، ...وقد اختلف في صحبته، فقيل: له صحبة، وقيل: لا صحبة له".(١).

وقد نقل الطوسي: عن معاذ بن مسلم النحوي، انه قال:" قال لي أبو عبد الله الصادق:" بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس، قال، قلت: نعم وقد أردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج، أني أقعد في المسجد فيجئ الرجل يسألني عن الشئ، فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، ويجئ الرجل أعرفه بحبكم أو مودتكم فأخبره بما جاء عنكم، ويجئ الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو فأقول جاء عن فلان كذا وجاء عن فلان كذا، فادخل قولكم فيما بين ذلك، قال، فقال لي: اصنع كذا فاني كذا اصنع "(٢) فمعاذ هذا من أصحاب جعفر بن محمد الصادق حفيد رسول الله (ﷺ) الامام السادس من أئمة أهل البيت عند الشيعة الامامية، ويبدو إن تجهيل شرحبيل لمعاذ لأنه شيعياً، وقد أشار الذهبي إلى هذا النوع من التجريح في حديثه عن الشافعي حيث وصفه بأنه ممن سارت الركائب بفضائله ومعارفه وثقته،..... ومع ذلك فقد قيل بعدم وثاقته؛ وقولهم هذا ظناً منهم بتشيعه (٣) .

والأمر الذي لفت انتباهنا وأثار اندهاشنا هو تاريخ ولادة معاذ وتاريخ وفاة شرحبيل، فقد جاء في وفيات الأعيان إنه : " سأل شخص معاذاً عن مولده فقال: ولدت في أيام يزيد بن عبد الملك أو في أيام عبد الملك؛ وكان يزيد بن عبد الملك قد تولى بعد موت عمر بن عبد العزيز في شهر

رجب سنة إحدى ومائة، وتوفي في شعبان سنة خمس ومائة، فهذه المدة هي أيامه؛ وأما أبوه عبد الملك فإنه تولى بعد أبيه مروان في شهر رمضان المعظم سنة خمس وستين للهجرة ومات سنة ست وثمانين، فهذه مدته. وتوفي معاذ سنة تسعين ومائة وقيل في السنة التي نكبت فيها البرامكة وهي سنة سبع وثمانين ومائة، وهو الأصح"،(٤) فتاريخ ولادته يتحدد بين عام (٦٥) وعام (١٠١) هـ، ووفاته بين عام (١٨٧) وعام (١٩٠) هـ، وتوفي شرحبيل بن سمط عام (٤٠) هـ كما جاء في الاستيعاب"(٥) وأكد الذهبي في تاريخ الاسلام ذلك (٦) فكيف يصفه بالمجهول وقد توفي قبل أن يولد؟؟ ثم كيف يكون شيخ الكسائي محهولاً ؟؟

وأما ما ذكروه من إختلاط(عطاء) فلأنه كان من العامة ثم استشيع، فعدوا حديثه قبل أن يستشيع صحيحاً، وبعد أن استشيع لا يؤخذ بحديثه، بحجة انه اختلط، فما سُمِع منه قديماً فهو صحيح وما سُمِع منه حديثاً ليس بصحيح (٧).

وعليه فإن هذه الرواية وامثالها ليست كما يصفها الذهبي بالضعف، أومما يورده الطبرسي ليتنتصر لمذهبه؛ لورودها عن صحابي بسند معتبر، كما وردت مرويات مشابهه لها باسانيد مختلفة، ولعدم تعارضها مع القرآن فما ورد في الكتاب في حق علي لا يمكن اخفاءه، كما إنها لا تعارض السنة التي طالما صرحت بفضائل علي، فضلاً عن عدم معارضتها للتاريخ والعقل، لذا لا يمكن الحكم بضعفها.

ومن هنا يتضح لنا ما تعرضت له المرويات التفسيرية عبر العقود من مطاردات وتغييرات لصالح الرؤية السياسية، وقد بين وسام البلداوي إن أهم الاحاديث التي طالها الوضع والتحريف هي أحاديث الفضائل، لا سيما فضائل أهل البيت حيث اقتضت الحاجة إلى شطب الكثير من الفضائل واستبدالها باخرى (٦).

ويُمكن معرفة منهج الطبرسي في تفسيره من خلال القراءة المنصفة للكتاب حيث يظهر إنه نهج منهجاً جامعاً لكل الآثار الواردة في التفسير، مما ورد عن أهل بيت، والصحابة، والتابعين.

المبحث الثالث : دور تفسير الصحابي في كتاب مجمع البيان للطبرسي

المطلب الأول: تفسير الصحابي بين أدوار التبيين والتعيين.

أولاً: الدور التبييني

يمثل القرآن الكريم الكتاب المبين الذي يحتاج إلى تفسير، فهو مبين بمعنى إنه مفهوم الالفاظ لدى متلقيه. يقول ابن عاشور)ت: ١٣٩٣ هـ:("أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَاضِحَةُ الْأَغْرَاضِ لَا تَلْتَبِسُ إِلَّا عَلَى مُكَابِرٍ فِي دَلَالَةِ كُلِّ آيَةٍ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْهَا) "٧) . فعند قرأتنا لبعض الكتب القديمة نجد صعوبةً في فهمها والوقوف على معانيها، وهذا الامر لا نجده عند قراءتنا للقرآن الكريم ، فهو كألفاظ مفهوم بشكل عام، إلا إن بعض مفرداته وآياته تحتاج الى من يبينها، وهذا لا يعني قصور القرآن الكريم عن البيان وإنما القصور يكون لدى متلقيه، فهذه الألفاظ المبهمة عند شخص نجدها مفهومة عند آخر ، كما إن بعض الآيات ارتبط نزولها بأسباب غابت عن أشخاص وعرفت عند آخرين، كما إن القرآن نزل مبهما في مكان ومبين في آخر ومجمل في مكان ومفصل في آخر؛ كي نبقى محتاجين بعضه في تفسير بعضه الآخر وقد يكون هذا جانباً من الحفظ الذي تكفل الباري به. فهو يبقي القرآن مترابطاً في آياته وسوره .

وبما إن صحابة الرسول)ﷺ (كانوا الجماعة الأولى التي تلقت القرآن الكريم، وعاشروا من نقله إليهم)ﷺ (فقد كان لهم دور في إيضاح معانيه ودلالاته؛ من خلال ما آثر عنهم من مرويات تفسيرية حرص الطبرسي)ت:٥٤٨هـ (على إيرادها في كتابه مجمع البيان؛ لما تلعبه من أدوارٍ في التبيين.

ويمكن بيان الجزء الذي اداه الصحابي في التبيين من خلال تفسيره في هذا الكتاب بما هو آتٍ:

١- الدور التبييني للحروف القرآنية

١-ومنها الحروف المقطعة التي وردت في السور القرآنية، وهي من الأسرار التي حيرت العقول ونتجت عنها ثروة علمية من الكتب والدراسات على الرغم من كونها حروفاً يكاد بعضها أن يأخذ حيز الكلمات، الا إن هذه الحروف قرآنية؛ لذا فهي مميزة . وقد أختلف العلماء في تفسيرها وذهبوا فيها مذاهب شتى، وكان لتفسير الصحابي دور في تبيينها، حيث ذكر الطبرسي مجموعة من الروايات الواردة عن الصحابة بينوا فيها ما تعنيه هذه الحروف، وجاء بيانها في تفسير الصحابي على نحوين:

- أ- أنها من المتشابهات التي استأثر الله تعالى بعلمها، ولا يعلم تأويلها إلا هو، فقد نقل الطبرسي ما روي عن علي بن أبي طالب في ذلك، حيث قال: "إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي)٢).

ب- إن المراد بها معلوم، وهو الدلالة على أسماء الله تعالى، نحو ما نقله عن ابن عباس:) ألم (معناه: أنا الله أعلم)١). او الدلالة على أسمائه تعالى وأسماء مخلوقاته، نحو ما روي عن ابن عباس : إن) ألم (الألف منه تدل على اسم الله. واللام تدل على اسم جبرائيل. والميم تدل على اسم محمد)ﷺ)٢) .

ب- تبيينها على إنها أقسام أقسم الله تعالى بها، وهو تفسير ابن عباس لها)٣).

ج- إن هذه الحروف اختصار من أسماء يعلم النبي)ﷺ(تمامها، عن ابن عباس(٤).

٢- ومنها حروف المعاني، وهي: مَا يُوَصِّلُ مَعَانِيَ الْأَفْعَالِ إِلَى الْأَسْمَاءِ، ومَا يَدُلُّ بِنَفْسِهِ عَلَى مَعْنًى فِي غَيْرِهِ)٥)، وقد ورد بيانها في الكتاب بتفسير الصحابي لها، نحو ما ورد في تفسير قوله تعالى: {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ}(٦) . فقد نقل الطبرسي ما روي عن ابن عباس من إن)ما (هنا على النفي)٧). أي نفي نزول السحر على الملكين.

٣- -ومنها الحروف التي هي ضمائر ، حيث يتخذ بعضها شكل الحروف مثل الهاء في)به (و) موته (وهي بالحقيقة أسماء قال السكاكي)ت: ٦٢٦هـ " : (ان الضمير عبارة عن الاسم المتضمن للإشارة على المتكلم أو على المخاطب أو على غيرهما...")٨) . وقد كان لتفسير الصحابة دور في بيان عائديتها على من تكون نحو ما جاء في تفسير قوله تعالى : {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ)}٩) . قال الطبرسي(١٠): " اختلف فيه على أقوال أحدها: إن كلا الضميرين يعودان إلى المسيح، أي: ليس يبقى أحد من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، إلا ويؤمنن بالمسيح، قبل موت المسيح، إذا أنزله الله إلى الأرض، وقت خروج المهدي، في آخر الزمان، لقتل الدجال، فتصير الملل كلها ملة واحدة، وهي ملة الاسلام الحنيفية دين إبراهيم، عن ابن عباس" (١١) .

وثانيها: إن الضمير في به يعود إلى المسيح، والضمير في موته يعود إلى الكتابي، ومعناه: لا يكون أحد من أهل الكتاب، يخرج من دار الدنيا، إلا ويؤمن بعيسى قبل موته، إذا زال تكليفه، وتحقق الموت، ولكن لا

ينفعه الايمان حينئذ، وإنما ذكر اليهود والنصارى لان جميعهم مبطلون: اليهود بالكفر به، والنصارى بالغلو في أمره، وذهب إليه ابن عباس في رواية أخرى"(١) . وهو دور تباييني .

٢: الدور التبييني للمفردات القرآنية

إستعمل القرآن الكريم مفرداته القرآنية إستعمالاً خاصاً ووضعها في مواضع مناسبة بطريقة عبر عنها د. السامرائي بأنها فنية مقصودة)٢)، أبهرت كل من سمع القرآن حتى صار معجزة الوجود، قال الجرجاني)ت: ٤٧١هـ" :(بَهرهُم أنَّهم تأمَّلوه سُورةً سورةً، وعَشْراً عَشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة يَنْبو بها مكانُها، ولفظةً يُنكرُ شانُها، أو يُرى أنَّ غيَرها أصلحُ هناك أو أشْبَه، أو أحرى

وأخْلَق)"٣) ولكل مفردة من هذه المفردات دلالة خاصة ليس بمقدور كل متلقي معرفتها والوقوف عليها، وقد كان للصحابة دوراً بارزاً في تبيينها بطرقٍ متعددةٍ، منها:

١- تبيين المفردات بدلالاتها في لغة العرب، وهم الاعرف باللغة من غيرهم وكان دورهم بارزاً في هذا النوع من البيان، والمراد به تفسيرُ اللَّفظِ بما يطابقهُ من لغةِ العربِ(٤)، نحو ما نقله الطبرسي)٥) عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ)}٦)، قال: أي سمعت وأطاعت في الانشقاق)٧). قال ابن فارس " :الْأَذَنُ الِاسْتِمَاعُ)٨) .

٢- تبيين المفردات بمعانيها المقصودة في الآية، نحو ما ورد في معنى) السيئة (في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾)٩). نقل الطبرسي(١٠) عن ابن عباس إنها هنا تعني الشرك)١١). وفسر نفس اللفظة في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا﴾(١٢). بانها الشدة ، قال: "والسيئة: الشدة، عن ابن عباس"(١٣)(١٤).

٣- تبيين المفردات المضمرة غير المذكورة، نحو ما ورد في تفسير)حُبِّهِ (في قوله تعالى:﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾)١٥). روي عن ابن عباس: أي على حب المال(١٦).

٤- تبيين إشتقاق المفردة، فالالفاظ المفردة لها أصولُ اشتقاقية تصاغ منها على صور معينة ولها معانٍ

مفردة تنسب إليها في المعاجم)١) نحو ما ورد عن ابن عباس في إشتقاق)النصارى(، قال " :هو من ناصرة قرية كان يسكنها عيسى عليه السلام فنسبوا إليها)"٢) .

٥-- تبيين تعريف المفردة، نحو ما ورد في تفسير قوله تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِوْ }(٣). فقد روي عن ابن عباس : "إن التعريض هو أن يقول الرجل للمعتدة: إني أريد النكاح، وإني أحب امرأة من صفتها كذا وكذا، فيذكر بعض الصفات التي هي عليها"(٤) .

٦-بيان سبب تسمية المفردة القرآنية ، نحو ما روي في سبب تسمية)عرفات) في قوله تعالى :{ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَات} (٥). نقل الطبرسي ما روي عن علي)عليه السلام) أنه قال: إنما سميت البقعة المعروفة بعرفات لأن إبراهيم عليه السلام عرفها بما تقدم له من النعت لها والوصف (٦) .

٧- الافصاح عن معنى اللفظ بحسب القراءة القرآنية، والقراءة القرآنية: هي الوجوه المختلفة التي سمح النبي (صلى الله عليه وسلم)بقراءة نص المصحف بها قصدًا للتيسير، والتي جاءت وفقًا للهجة من اللهجات العربية.(٧). نحو ما ذكره الطبرسي في قوله تعالى: {وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ}(٨) عن ابن عباس إنه كان يقرأه: (وإلاهَتَكَ) (٩). بالكسر، وقد بين الطبرسي بهذه القراءة معنى لفظ الجلالة (الله) بأنه الذي يحق له العبادة، قال في ذلك " :وقرأ ابن عباس: ويذرك وإلاهتك أي: عبادتك. ويقال: آله الله فلان إلاهة كما يقال عبده عبادة، فعلى هذا يكون معناه الذي يحق له العبادة" (١٠).

٣- الدور التبييني للآيات القرآنية

وهو الدور الذي مارسه الصحابي في تفسيره للآيات كوحدة مترابطة من المفردات ولعب فيه دوراً في بيان المعنى الظاهر والباطن للآيات القرآنية، وقد كان تبيين الصحابي للآيات على النحو التالي:

١- الدور التبييني لجزء من آية.

٢- الدور التبييني لآية كاملة.

٣- الدور التبييني لمجموعة من الآيات.

٤- الدور التبييني لمواضيع متعلقة بالقرآن كله.

١-الدور التبيني لجزء من آلآية، نحو ما أورده الطبرسي عن ابن عباس في تفسيره اقوله تعالى : {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} من آية : {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ }{١). قال:" لا تخلطوا الصدق بالكذب)"٢) .

٢--الدور التبيني لآية قرآنية كاملة.، ويتمثل بالتالي:

١- تبيين تأويل الآية، وهو معناها الباطن غير الظاهر الملفوظ. قال محمد هادي معرفة " :التأويل: هو تبيين المفهوم العام الخابئ وراء ستار اللفظ الذي يبدو خاصاً حسب التنزيل) "٣).

ويدل على مفهوم عام مستفاد من فحوى الكلام بعد الغاء الخصوصيات المكتنفة بأسباب النزول، وهذا المفهوم هو المقصود الاصلي الذي يشكل غرض الكلام، فالتأويل هو الذي يرجع اليه مفهوم الكلام في نهاية المطاف)٤)، مثال عليه ما نقله الطبرسي)ت: ٥٤٨هـ (في تفسير قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ}{٥). حيث قال" :وفي تأويل الآية وتشبيه المثل أقوال)"٦)، وذكر تأويل ابن عباس للآية حيث قال" :إنه شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر، وما فيه من البرق بما فيه من البيان، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلا، والدعاء إلى الجهاد عاجلا)"٧) .

٢-- بيان فعل المذكورين بالآية، نحو ما ورد في تفسير قوله تعالى: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ } (٨). نقل الطبرسي (٩) عن ابن عباس تبيينه لكيفية رفع القواعد من البيت بقوله: "كان إبراهيم يبني، وإسماعيل يناوله الحجر، فوصفا بأنهما رفعا البيت " (١٠) .

٣- بيان المفردة المجملة، وهي: مَا دَلَّت دَلَالَةً لَا يَتَعَيَّنُ الْمُرَادُ بِهَا إِلَّا بِمُعَيِّنٍ، سَوَاءٌ كان عدم التعيين بِوَضْعِ اللُّغَةِ، أَوْ بِعُرْفِ الشَّرْعِ، أَوْ بِالِاسْتِعْمَالِ)١١). قال السيوطي)ت: ٩١١هـ " :(

المجمل المبهم الذي لا يُفهم المراد منه) "(١٢). نحو ما ورد في قوله تعالى: {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (١٣) فلم تبين الآية ما هي هذه الحجارة وجاء بيانها بتفسير الصحابي حيث روي عن ابن مسعود انها حجارة الكبريت(١٤).

- بيان السنن التاريخية للآية، ويقصد بها الضوابط والقوانين التي تتحكم في مسيرة التاريخ وحركته، والتي حرص القرآن بوصفه الوظيفي ككتاب هداية على بيانها وذكرها في آياته؛ لإحداث عملية التغيير الإجتماعي بجانبها المترابط بالبشر والتي تتحكم فيهم على مر الزمان)١)، نحو ما جاء في تفسير قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ }(٢). قال ابن عباس: فمسخهم الله تعالى عقوبة لهم، وكانوا يتعاوون، وبقوا ثلاثة أيام لم يأكلوا، ولم يشربوا، ولم يتناسلوا، ثم أهلكهم الله تعالى، وجاءت ريح فهبت بهم، وألقتهم في الماء، وما مسخ الله أمة إلا أهلكها"(٣) (٤).

٢- بيان العلوم التي اشتملت عليها الآيات، ومنها المحكم والمتشابه، والمحكم ما يدل على مفهوم معين، لا نجد صعوبة أو تردداً في تجسيد صورته أو تشخيصه في مصداق معين، والمتشابه: ما يدل على مفهوم معين تختلط علينا صورته الواقعية ومصداقه الخارجي. نحو قوله تعالى: { الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ((٥). فهي متشابهة، لما يوجد فيها من التردد في تحديد صورة الاستواء واقعياً، وتجسيد مصداقه الخارجي بما يتناسب مع الله سبحانه الذي ليس كمثله شيئ، اما المحكم فقوله تعالى: {ليس كمثله شي ((٦). فهي محكمة لأنها متعينة المعنى والمفهوم والصورة الواقعية ، فهو سبحانه ليس كاي شي من المخلوقات المتصورة (٧) .

وقد نقل الطبرسي ما روي عن ابن عباس في ذلك حيث قال: إن المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ، عن ابن عباس(٨). بمعنى إن المحكم هو ما شرعه الله لنعمل به ، والمتشابه ما لا يعمل به انما ينبغي الإيمان به فقط(٩). وقال: "إن المحكم ما يعلم تعيين تأويله، والمتشابه: ما لا يعلم تعيين تأويله، كقيام الساعة، عن جابر بن عبد الله" (١٠) (١١). ومن امثلة تفسير الصحابي لهذا

النوع من الآيات ما نقله الطبرسي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ}(١٢). قال: "معناه: ثم استوى أمره وصعد إلى السماء، لأن أوامره وقضاياه تنزل من السماء إلى الأرض(١٣) (١٤).

٣- تبيينه لمجموعة من الآيات:

نحو ما جاء في تفسير قوله جل جلاله: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ

٤- بيانه لامور متعلقة بالقران كله

ومنها نزول القران ، وهو من المواضيع المختلف عليها، ويبدو ان الاختلاف راجع لاختلاف الصحابة فيه. قال تعالى:{ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ}(٤). قال الطبرسي(٥): "اختلف في قوله: (أنزل فيه القرآن) فعن ابن عباس: إن الله أنزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم أنزل على النبي بعد ذلك نجوما في طول عشرين سنين(٦). -وعن السدي، يسنده الى ابن عباس: إن الله تعالى ابتدأ إنزاله في ليلة القدر ما يحتاج إليه في تلك السنة جملة واحدة، ثم ينزل على مواقع النجوم إرسالا في الشهور والأيام((٧).

ثانياً: الدور التعييني

أدى تفسير الصحابي في كتاب مجمع البيان دوراً بارزا في تعيين وتحديد العديد من المسائل القرآنية، منها التالي:

١- تعيين المخاطبين بالاية

تميز الخطاب القرآني بالشمولية والتجدد فهو يخاطب البشرية منذ نزوله وحتى هذه اللحظة، وهو في شموليته وتجدده يخاطب اصنافاً مختلفة من المتلقين لخطابه، وكان لتفسير الصحابي في كتاب مجمع البيان دور في تعيين توجهات الخطاب القرآني، فضلا عن تعيين المخاطبين بالآيات القرآنية ، فقد اختلف المفسرون في المخاطبين بقوله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ } (٨).هل إن المخاطبين أزواج النبي (ﷺ (لأن الآيات السابقة موجهه إليهن، أو هي مخصوصة في غيرهن؟ فكان لتفسير الصحابي دورُ في تعيين المخاطبين بها، حيث أشار الطبرسي إلى ما جاء عن مجموعة من الصحابة في تحديد ذلك، فذكر ما نصه التالي:" وقال أبو سعيد الخدري(٩)، وأنس بن مالك(١٠)

بن الأسقع(١)، وعائشة(٢)، وأم سلمة(٣). إن الآية مختصة برسول الله ﷺ وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام"(٤). وأسترسل قائلاً: "وروى الثعلبي في تفسيره بالإسناد عن أم سلمة: " أن النبي (ﷺ) كان في بيتها، فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة فيها حريرة، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك. فذكرت الحديث...، ثم قالت: فأنزل الله تعالى (إنما يريد الله) الآية. قالت: فأخذ فضل الكساء، فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، وحامتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً "ا)(٥)(٦) . وهذا من التفسير العملي أو التمثيلي الذي قام به الرسول ﷺ لتعيين المقاصد القرآنية، حيث يقوم بمشاهد وأعمال خاصة– كالتغطية بالكساء– ثم يقرأ الآيات القرآنية ، وهوﷺبذلك يشد الانتباه، ويحدد المقاصد، ويُبقي التفسير عالق في الاذهان .

٢– تعيين معنى اللفظة من خلال ما نسبت إليه من المخاطبين بها.

،ففي قوله تعالى: { وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (٧). قال الطبرسي(٨): " روي عن ابن عباس أن كل ما نسبه الله تعالى من الخسار إلى غير المسلمين، فإنما عنى به الكفر، وما نسبه إلى المسلمين، فإنما عنى به الدنيا"(٩).

٢- تعيين مكان نزول الآية من خلال المخاطبين بها

نحو ما جاء في تفسير قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ)(١٠) . عن ابن عباس حيث قال" :أن ما في القرآن من "يا أيها الناس "فإنه نزل بمكة، وما فيه من "يا أيها الذين آمنوا "فإنه نزل بالمدينة "(١١) (١٣). فقول ابن عباس هذا كان له دور في تعيين مكان نزول كل الآيات التي ذكر فيها)يا أيها الناس (و)يا أيها الذين آمنوا.(

٤- تعيين مصداق الاية

ففي قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١٣). قال الطبرسي: "روى الكلبي: عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كونوا مع الصادقين، مع علي وأصحابه(١٤) (١٥)".

٥- تعيين الآية الناسخة والمنسوخة.

النسخ: هو رفع أمر ثابت في الشريعة بارتفاع أمده وزمانه)١). أي إن الله تعالى يشرع حكماً في وقت ما لوجود مصلحة، ثم يرفعه بتشريع حكم آخر لعلمه تعالى بمصالح العباد، ومعرفة النسخ من الأهمية بمكان لما لها من أثر في معرفة الاحكام الباقية والاحكام المرفوعة من الآيات القرآنية وبالتالي العمل بها،. وكان لمعايشة الصحابي لنزول القرآن أثر في معرفتهم للناسخ والمنسوخ من الايات القرانية. ومن الموارد التي ذكرها الطبرسي في ذلك قول ابن عباس في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ} (٢): "إنها منسوخة بقوله تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ } (٢) (٤).

٦-تعيين سبب نزول الآية

هو الحادثة التي وقعت في عهد الرسول(ﷺ (ونزل بشأنها قرآن، أو الأسئلة والاستفسارات الموجهة للنبي (ﷺ (وجاءت الآيات مجيبة عنها(٥)، و لا يمكن الإستغناء عنها في التفسير، كما إن لها دور في التعرف على أسرار التعبير في الآية؛ لأن النص النازل لسبب معين تكون صياغته بما يتوافق وذلك السبب، فاذا لم يعين ويحدد السبب تبقى أسرار الصياغة غامضة(٦) .

وقال ابن حجر(ت: ٨٥٢هـ): " ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب العزيز إلا بالرواية والسماع عمن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن عملها وجدوا في الطلاب(٧) .

ولما كان الصحابة قد شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، صار لهم دوراً بارزاً في تعيين أسباب نزول الآيات، وبالتالي تعيين معانيها. وقد حرص الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) على ذكر سبب النزول لكل آية نزلت لسبب، ومن ذلك ما ورد في سبب نزول قوله تعالى: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَة }(٨). قال ابن عباس:" نزلت الآية في علي " عليه السلام "، كانت معه أربعة دراهم، فتصدق بواحد نهارا، وبواحد ليلا، وبواحد سرا، وبواحد علانية(٩) (١٠) .

تعيين الفرق بين الالفاظ المتشابهة

نحو ما جاء في تفسير (الرياح) في قوله تعالى: {وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (١١). ما روي عن ابن عباس: ان الرياح للرحمة، والريح للعذاب(١٢) (١٣) .

- تعيين المكان في الآية
- ومنه ما ورد في تفسير قوله تعالى: { وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ}(١) . نقل الطبرسي ما ورد عن ابن عباس: إن (الاحقاف(هو واد بين عمان ومهرة (٢) (٣) .
- تعيين الزمان في الآية

نحو ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ۚ﴾ (٤). قال الطبرسي:)هذا أمر من الله للمكلفين أن يذكروه في أيام معدودات، وهي أيام التشريق ثلاثة بعد النحر. والأيام المعلومات: عشر ذي الحجة عن ابن عباس(٥) (٦) .

- الدور الخلافي في التعيين
- كان الدور التباييني بارزاً في العديد من الروايات التفسيرية الواردة عن الصحابة نحو الاختلاف في تعيين (الصلاة الوسطى) في قوله تعالى: { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ۚ﴾ (٧). قال الطبرسي: "اختلف في الصلاة الوسطى على أقوال: أحدها: إنها صلاة الظهر، عن زيد بن ثابت (٨)، وابن عمر(٩)، وأبي سعيد الخدري(١٠)، وأسامة(١١)،وعائشة(١٢). وروي: إنها صلاة العصر، عن ابن عباس(١٣)، وعلي (١٤)، وابن مسعود(١٥) .

وقيل: إنها صلاة الفجر، عن معاذ (١)، وابن عباس (٢)، وجابر بن عبد الله(٣)، قالوا: لأنها بين صلاتي الليل، وصلاتي النهار، وبين الظلام والضياء(٤).

وهذه المرويات ونحوها تدلنا على إختلاف الصحابة حتى في الامور التي عينها النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهنا يبرز الدور التباييني لتفسير الصحابي، قال الطباطبائي: " أن الأقوال في تفسير الصلاة الوسطى مختلفة، معظمها ناشئ من اختلاف روايات القوم(٥) .فقد كان لتفسيرهم دور في الأختلاف، حيث إن أغلب ما أُختلف فيه في التفسير راجع لأختلافهم فيه.

ويتضح لنا مما سبق إن تفسير الصحابي للقرآن الكريم في كتاب مجمع البيان كان له دوراً تكميلياً في تبيين حروف القرآن الكريم وكلماته وآياته، كما كان له دور في تحديد الخطابات والمعاني القرانية ، الا إنه كان مختلفاً في بعض الاحيان ، وهو دورُ تكميلي للبيان والتعيين القرآني والنبوي. وكان له دوراً خلافياً أدى إلى الاختلاف والتباين في التفسير حتى يومنا هذا.

المطلب الثاني: دور تفسير الصحابي بين أدوار التشريع والتعليم .

أولاً: الدور التشريعي

فجر القرآن الكريم بما حواه من تشريعات ثورة في أعماق الجاهلية والتخلف، أسس من خلالها نظاماً كاملاً للحياة الكريمة التي أرادها الله تعالى للانسان. وكان الهدف الأسمى لما سنه من قوانين وتشريعات هو إيجاد التغيير الجذري للإنسانية، والسمو بها نحو الكمال.

وقد تميزت القوانين والتشريعات القرآنية بكونها إلهية المصدر، فهي ثابتة وشاملة وملائمة لحاجات الإنسان، لذا فقد أمر سبحانه بإتباعها.

وقد خلَّف النبي ﷺ للمسلمين هذه التشريعات من نصوص الأحكام في القرآن والسنة، ونظراً لتفاوتهم في فهمها ومعرفة دلالاتها وإمكانية الرجوع إليها بانفسهم، ولعدم نشرها بينهم نشراً عاما، مضافاً إلى ما طرأ من حوادث ومستجدات بعد وفاة النبي ﷺ، فقد تصدى علماء الصحابة للقيام بدورهم التشريعي(٦)، والذي حرص النبي ﷺ على إعدادهم للقيام به كونه المبين لتشريعات القرآن، من خلال نقل وبيان ما آثر عنه ﷺ منها، ونشرها بين الناس، واستنباط ما تفرضه الحاجة لها. وكان لتفسيرهم الوارد في كتاب مجمع البيان دوراً مهماً في هذا الجانب، وقد تمثل بشكله العام في التالي:

١- الدور التشريعي النظري، قام فيه الصحابي بنقل التشريعات الواردة في الآيات القرآنية

٢- الدور التشريعي العملي، وكان دور الصحابي فيه يقوم على بيان الاحكام او استنباطها أو تبديلها.

أولاً: الدور التشريعي النظري، وقد مارسه عن طريق نقل التشريعات كما كانت في عصر النبي ﷺ.

ومما نقله الطبرسي في ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى:{وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا. } (١). ذكر الطبرسي ما روي عن ابن عباس في قوله: (فآذوهما) قال:" عن ابن عباس: هو التعيير

باللسان، والضرب بالنعال(٢) . وهذا معنى ما روي عنه، ونصه أنه قال: كان الرجلُ إذا زنا أُوذِي بالتَّعْيِيرِ، وضُرِب بالنِّعاله (٣) (*).

ثانياً: الدور التشريعي العملي، ومارسه الصحابي عن النحو التالي:

١- بيان التشريعات الواردة في الآيات .

٢- استنباط التشريعات وتبديلها.

١- بيان التشريعات ، وممارسة الصحابي لهذا الدور في الكتاب كان على عدة مستويات يمكن توضيحها بالتالي:

أ- ممارسة دوره التشريعي على مستوى المفردات القرآنية،

ومن ذلك بيان المخاطب بالمفردة القرآنية ومعرفة توجهات الامر الالهي في التشريع نحو ما ورد في قوله عز من قائل: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ} (٤). ففي تفسير)فارزقوهم (قال ابن عباس أن المخاطب بذلك الورثة أمروا بأن يرزقوا المذكورين، إذا كانوا لا سهم لهم في الميراث (٥) .

ب- ممارسة دوره التشريعي على المستوى التجزيئي للآية

ومنه تفصيل التشريع المذكور في الآية نحو ما ورد في تفسير قوله تعالى: { الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ}(٦). نقل الطبرسي ما ورد عن ابن عباس فيه قال: "إنه بيان تفصيل طلاق السنة، وهو أنه إذا أراد طلاقها ينبغي أن يطلقها في طهر، لم يقربها فيه بجماع، تطليقة واحدة، ثم يتركها حتى تخرج من العدة، أو حتى تحيض وتطهر، ثم يطلقها ثانية(٧) (٨) .

ج- ممارسة دوره التشريعي على مستوى التفسير الكلي للآية

ومن ذلك استقراء مقاصد المشرّع و معرفة علة التشريع من خلال تفسير الصحابي مثال عليه ما رواه الطبرسي(ت: ٥٤٨هـ) في تفسير قوله تعالى: { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُون} (٥) .عن ابن عباس قال:أي لعلكم تتقون القتل بالخوف من القصاص(١٠). فتفسير ابن عباس يُبين إن علة تشريع القصاص هي التخويف، فمن ينوي الإقدام على قتل نفسٍ يخشى القصاص ويرتدع.

ثانياً: الدور التعليمي

جاء القرآن ليربي وينشئ الانسان وفقاً للمنهج الذي أراده الله تعالى، وذلك من خلال ترجمة مافيه من نصوص وتعاليم إلى عادات يمارسها الانسان بصورة عملية في حياته بمختلف جوانبها، وبذلك يخلق مجتمعًا قائماً على التربية القرآنية التي تتكفل بإرشاد الناس ونصحهم وهدايتهم.

والتفسير بدوره الحركي نحو البناء والعمل، أريد منه أن يكون حركة متجهه إلى غاية، وهي التطبيق العملي لمفاهيم القرآن وهديه وقيمه(١) واستنطاق الآيات ليتعلم منها المتلقي ما يوصله للتطبيق العملي لها؛ لتصل نفسه بذلك إلى كمالها الممكن ؛ لذا صار لتفسير القرآن دوراً مهماً في إخراج التعاليم القرآنية إلى حيز التنفيذ. وكان لتفسير الصحابة للقرآن دوراً تعليمياً هدفه فهم القرآن وتطبيق قيمه ومفاهيمه. وقد برز دورهم التعليمي من خلال تفسيرهم في كتاب مجمع البيان على النحو الآتي بيانه:

١- تعليم اساليب التفسير

٢-بيان التعاليم الواردة في القرآن الكريم

١- تعليم أساليب التفسير

وهي الطرق التي يعلم بها الصحابي كيفية قراءة الآيات وتفسيرها، وهو بذلك يعلم المتلقي كيف يفسر الآيات القرآنية ويقف على دقائق معانيها، ومن ذلك اسلوب ضرب المثال لتقريب فهم الآية نحو ما ورد في تفسير قوله تعالى: {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (٢). فقد نقل الطبرسي رواية مفادها إن عمر بن الخطاب سأل كعب الأحبار عن التقوى، فقال: هل أخذت

طريقا ذا شوك؟ فقال: نعم. قال: فما عملت فيه؟ قال: حذرت وتشمرت. فقال كعب: ذلك التقوى(٣) (٤) .

-تعليم كيفية قراءة القرآن ما جاء في تفسير قوله تعالى: {ورتل القرآن ترتيلا}(٥). أي بينه بيانا. واقرأه على هينتك ثلاث آيات وأربعا وخمسا، عن ابن عباس (٦). وروي عن أمير المؤمنين علي في معناه أنه قال: بينه بيانا، ولا تهذه (٧) هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل، ولكن اقرع به القلوب القاسية، ولا يكونن هم أحدكم آخر السورة.(٨) .

٢-بيان التعاليم الواردة في القرآن الكريم ، ومن ذلك:

أ- تعليم الجائز والنهي عما ليس بجائز

نحو ورد في تفسير قوله تعالى: { وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْض} (٩). فقد روي إن الريح هاجت في عهد ابن عباس، فجعل بعضهم يسب الريح، فقال: لاتسبوا الريح، ولكن قولوا: اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذاباً(١٠) (١١) . فالرواية تعلمنا انه لا يجوز سب الريح، وتحثنا على التوجه للدعاء عند هبوبها لأن تكون مفيدة غير ضارة، وهو ما يجوز فعله وليس بواجب .

وبناءاً على ما سبق يتضح لنا إن تفسير الصحابي في كتاب مجمع البيان كان له دور تعليمي وهو دور تكميلياً لما بينه وعينه القرآن الكريم لآياته بآياته، ولما بينه النبي الأكرم .كما أدى دوراً تأسيسيًا لبعض الأحكام والتشريعات الغير ظاهرة في النص القرآني، فضلاً عن بيان الظاهر منها، وكان له دوراً خلافياً أدى إلى اختلاف التفسير تبعاً لاختلاف المعرفة والآراء والاجتهادات. ويبدو لي إن اغلب الأدوار ترجعنا لدائرة المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير وهو البيان وفهم القران وتفهيمه .

النتائج

وبعد هذه الرحلة، نحط رحالنا في هذه الصفحات لنسطر فيها أهم ما خَلُص إليه البحث من نتائج، وما نتج عنها من توصيات، يُمكن تلخيصها بما هو آت:

١- بَيّن البحث إن تفسير مجمع البيان دارسة بحثية تكشف عن العقلية الفذة لمؤلفها، وقد امتدت لعدة سنوات بذل فيها الطبرسي جهدا فكريا ووقتا كبيراً حتى أخرجها موسوعة علمية ذات طرح موضوعي محايد وموجز جعلت منه تفسير مقبول عند الجميع، وهو ما نحن بأمس الحاجة إليه اليوم في كتاباتنا وفي حياتنا الدينية والعلمية والاجتماعية.

٢- كان الطبرسي منفتحا على الجميع ويذكر القوال التفسيرية المختلفة .

٣- إن الدور الذي مارسه الصحابي بشكل عام من خلال تفسيره في كتاب مجمع البيان كان على نوعين: دور اجتهادي مباشر، أداه الصحابي بما لديه من معرفة واجتهاد، وهو ليس بحجة. ودور نقلي غير مباشر نقل فيه التفسير عن غيره، وهذا الدور يكون حجة إذا كان نقلا صحيحا عن النبي (صلى الله عليه وسلم).

أو نقلا مجمعا عليه لسبب نزول .

٤- كما أكد البحث على إن تفسير الصحابي في كتاب تفسير الطبرسي جاء تارة على النحو التكميلي حيث يكون مكملا للدور القرآني والدور النبوي في التفسير، ودوراستقلالي كان فيها الصحابي مستقلا عنهما في التأسيس لتفسيرات جديدة لم تكن ظاهرة في البيان القرآني والنبوي، أو مبدلة لها.

٥- كشف البحث عن الأدوار التي أداها تفسير الصحابي في كتاب مجمع البيان وهي: دور التبيين. والتعيين والتعليم والتشريع والتوجيه والارشاد

٦- إن أهم الدوار التي اداها تفسير الصحابي هو الدور التبييني وهو الغالب على الدوار الاخرى والمرجع لها، واخطرها الدور التباييني الخلافي حيث تبين ان اصل الخلاف في التفسير راجع لأختلاف الصحابة فيه.

٧- لم يكن تفسير الصحابي في كتاب المجمع لكل الآيات القرآنية، لذا لم يكن دوره شاملا في الكتاب وإنما كان دو ار جزئيا.

٨- مثلت نسبة تفسير الصحابي نسبة كبيرة في تفسير الطبرسي حيث بلغ عدد المرويات التفسيرية الواردة في الجزء الأول من الكتاب)٢٤٥) مروية من أصل)٧٤٥) مروية واردة عن النبي)ﷺ) ، وأهل البيت عليهم السلام ، والصحابة والتابعين وأتباعهم، وهذه النسبة تمثل الثلث تقريبا ، وهذا يعكس الدور الكبير لتفسير الصحابي في الكتاب .

٩- كان لتفسير الصحابي دور إيجابي بايضاح بعض الدلالات والمعاني والتشريعات القرآنية، وكان له دور سلبي في نشأة الخلاف وابهام بعض معاني الآيات القرآنية وعدم تحديدها.

١٠- قدم البحث أحقية أهل البيت بخلافة النبي)ﷺ (على لسان الصحابة، ومن خلال تفسيرهم الوارد في الكتب المعتبرة عند كافة المسلمين .

التوصيات

١- ُنوصي بتدريس كتاب مجمع البيان للطبرسي في كليات العلوم الإسلامية؛ وذلك لما يحويه من قيمة علمية موسوعية مختصرة وواضحة، فقلما نجد كتابا تفسيريا يدرس في جامعاتنا ، حيث إن اغلب طلاب العلوم الإسلامية في الجامعات يتخرجون دون دارسة التفسير بشكل تطبيقي. كما نوصي بتدريسه للمراحل

الدراسية المتوسطة والإعدادية بما يتناسب والمناهج المعدة لهم.

٢-نوصي بدراسة دور تفسيرأهل البيت في كتاب مجمع البيان للطبرسي.

٣-نوصي بعمل دراسة مقارنة بين تفسيرأهل البيت)عليهم السلام(وتفسير الصحابة في الكتاب.

٤-نوصي بدراسة دور تفسير التابعي في كتاب مجمع البيان.

. ٥- تنقية التراث الروائي منا الروايات التي تسبب الفهم الخاطئ للآيات القرآنية.فما نحتاجه هوان يكون

تفسير القرآن بفهم عقلائي .

المصادر والمراجع

١. اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، لشيخ الطائفة أبى جعفر الطوسي، تصحيح وتعليق المعلم الثالث ميرداماد الاستربادي، تح: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ق.

٢. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني)ت: ١٢٥٠هـ(، تح: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق – كفر بطنا، ط ١، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩ م .

٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري)٥٥٥ – ٦٣٠ هـ(، تح: محمد إبراهيم البنا – محمد أحمد عاشور – محمود عبد الوهاب فايد، دار الفكر – بيروت،١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .

٤. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢هـ(تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى،١٤١٥ هـ ٧/١.

٥. أعيان الشيعة،محسن الأمين، تح:حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م .

أمل الآمل، محمد بن الحسن)الحر العاملي)(ت:١١٠٤(، تح: السيد احمد الحسيني، دار الكتاب الاسلامي، د.ت .

٦. البحث اللغوي عند العرب، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط ٨، ٢٠٠٣ م.

٧. البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت:٧٩٤هـ(، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

٨. البداية في علم الدراية، زين الدين بن علي بن احمد الشامي العاملي الجبعي)ت:٩٦٥هـ(،تح: محمد رضا الحسيني الجلالي، انتشارات محلاتي، قم المقدسة – ايران، ١٤٢١هـ، ط١، ٦٤.

٩. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦ م .

١٠. البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وإسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣ م .

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بالمرتضى، الزَّبيدي)ت: ١٢٠٥هـ(، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٣/١٦١.

١٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي)ت:،٧٤٨هـ(، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ٣/ ٦٢١.

١٣. التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ)، دائرة المعارف العثمانية: حيدر، آباد، د.

١٤. تاريخ بيهق، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي)ت:٥٦٥ هـ(، دار اقرأ، دمشق، ط ١، ١٤٢٥ هـ .

١٥. تاريخ مدينة دمشق، ترجمة ريحانة رسول الله)ﷺ(الإمام الحسين عليه السلام، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر)ت: ٥٧١ هـ(، تح محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الاسلامية، ايران– قم، ط ٢، ١٤١٤ هـ .

١٦. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي)ت: ١٣٩٣ هـ(، الدار التونسية للنشر، تونس،:١٩٨٤ هـ .

١٧. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ)، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة – الرياض ط ١، ١٤١٤ هـ .

١٨. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي)ت: ٧٤١ هـ(، تح:د. عبد الله الخالدي، شركة دار الارقم بن أبي الارقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ، ١/١٥ .

١٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت: ٨١٦هـ(، تح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ –١٩٨٣ م .

٢٠. التفسير الأثري الجامع، محمد هادي معرفة، منشورات ذوي القربى، قم المقدسة، ط ١،

٢١. التَفْسِيُر الَبِسْيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي)ت: ٤٦٨هـ(، تح: لجنة علمية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠ هـ .

٢٢. تفسير البغوي)معالم التنزيل(،)ت: ٥١٦هـ(، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩ هـ .

٢٣. تتفسير القرآن:" عبد الرزاق بن همام الصنعاني)ت: ٢١١ هـ(؛ تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد: الرياض، ط ١، ١٤١٠ هـ.

٢٤. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ، ١/٦٧.

٢٥. التفسير المأثور وتطويره عند الشيعة الامامية، احسان الأمين، دار الهادي ، د. ت .

٢٦. تفسير سفيان الثوري:" سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري)ت: ١٦١ هـ(رواية: أبي جعفر محمد عن أبي حذيفة النهدي عنه؛ تصحيح: امتياز علي عرشي، المكتبة الرضوية بإعانة وزارة المعارف، مطبعة هندوستان: راضارامبور، ١٣٨٥ هـ.

٢٧. التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي)ت: ١٣٩٨ هـ(، مكتبة وهبة، القاهرة، د. ت .

٢٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، : يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي)ت: ٧٤٢ هـ)، د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠ م.

٢٩. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي)ت: ٣٥٤ هـ(، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية،تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .

٣٠. جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ)، تح: وصل التحقيق إلى الآية ٢٧ من سورة إبراهيم، ولم يكمل تحقيق: عبد اللهَّ بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب: الرياض، ١٤٢٤ هـ -.٢٠٠٣ م، ج ٢٦. وطبعة الرسالة . محمود محمد شاكر، مراجعة، دار المعارف: مصر، ١٩٦١ – ١٩٦٩ م – ج ١٦.

٣١. جامع الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩ هـ)، تح: شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، د. ت .

٣٢. جامع الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي)ت: ٢٧٩ هـ(، تح: شعيب الأرناؤوط وغيره؛ مؤسسة الرسالة: بيروت، ط ١.

٣٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه)صحيح البخاري(، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ .

٣٤. الجامع لاحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤ هـ-١٩٦٤ م .

٣٥. الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي)ت: ٤٥٨ هـ(؛ حققه وراجع نصوصه وخرَّج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، بومباي: الهند، د. ت .

٣٦. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم)ت: ٣٢٧هـ(، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الأولى،١٢٧١ هـ- ١٩٥٢ م .

٣٧. الدر المنثور في التفسير المأثور،: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت، د.ت.

٣٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرگ الطهراني، دار الأضواء، بيروت، ط ٢، د. ت .

٣٩. روضات الجنات في احوال العلماء والسادات، محمد باقر الموسوي الخوانساري، الدار الإسلامية، بيروت، ١٤١١ هـ- ١٩٩١ م، ط ١.